

الأمثل في تفسير كتاب القرآن المنزل

[112] لنكوننَّ أهدى من إحدى الأمم⁽¹⁾. فلما أشرقت شمس الإسلام من أفق بلادهم، وجاءهم النّبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بالكتاب السماوي، رفضوا، بل كذبوا، وحاربوا، ومارسوا أنواع المكر والخديعة. فنزلت الآيات أعلاه تلومهم وتوبّخهم على إدّعاءاتهم الفارغة. التّفسير إستكبارهم ومكرهم سبب شقائهم: تواصل هذه الآيات الحديث عن المشركين ومصيرهم في الدنيا والآخرة. الآية الأولى تقول: (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكوننَّ أهدى من إحدى الأمم)⁽²⁾. "أيمان" جمع "يمين" بمعنى القسم، وفي الأصل فإنّ معنى اليمين هو اليد اليمنى، واليمين في الحلف مستعار منها إعتباراً بما يفعله المعاهد والمخالف وغيره من المصافحة باليمين عندها. "جهد": من "الجهاد" بمعنى السعي والمشقة، وبذا يكون معنى (جهد أيمانهم) حلفوا واجتهدوا في الحلف على أن يأتوا به على أبلغ ما في وسعهم. نعم، فعندما طالعوا صفحات التاريخ، واطّلعوا على عدم وفاء وعدم شكر تلك الأقوام وجناباتهم بالنسبة إلى أنبيائهم وخصوصاً اليهود، تعجّبوا كثيراً وادّعوا لأنفسهم الإدّعاءات وتفاخروا على هؤلاء بأن يكون حالهم أفضل منهم.

1 - أغلب التفاسير. 2 - لأن "إحدى" جاءت بصيغة المفرد، فمعنى الآية "أنّهم سيكونون أكثر اهتداءً من واحدة من الأمم" وقد تكون الإشارة إلى اليهود (لأنّ صيغة المفرد في الجملة المثبتة ليس فيها معنى العموم) يبدو ذلك للوهلة الأولى، ولكن كما أشار بعض المفسّرين فإنّ قرائن الحال تشير إلى أنّ المقصود من الآية العموم، لأنّ الحديث في مقام المبالغة والتأكيد، وتشير إلى إدّعاءهم بأنّهم في حال بعثة رسول إليهم فإنّهم سيكونون أهدى من جميع الأمم السابقة.